الفصل السابع

حرب اليونان (سنة ١٨٢١-١٨٢٨م)

انتهت حرب السودان ببسط نفوذ مصر في ربوعه، وانصرف محمد علي وقتًا ما إلى توطيد دعائم الدولة المصرية العظيمة التي نشأت على ضفاف النيل، وامتدت إلى شبه جزيرة العرب. وأخذ يعنى بإكمال تنظيم الجيش على الأساليب الحديثة، وفتح المدارس وشق الترع وإقامة المصانع، وتوفير أسباب العمران في ذلك الملك الواسع. وبينما هو ماض في هذا السبيل إذا بالسلطان محمود يدعوه إلى حرب جديدة واسعة المدى كثيرة المتاعب، ميدانها في البر والبحر، وهي حرب اليونان، فكلفه إخماد الثورة الأهلية التي أثارها اليونانيون ورفعوا لواءها بغية تحرير بلادهم من النير التركي وتحقيق استقلالهم القومي.

الثورة اليونانية

كانت بلاد اليونان إلى أوائل القرن التاسع عشر جزءًا من السلطنة العثمانية، يحكمها الولاة الأتراك الذين ترسلهم حكومة الأستانة، وظلت على هذه الحال إلى أن ظهرت فيها بوادر الثورة الأهلية، فألف أعيانها وشبابها الجمعيات الثورية لتنظيم الثورة وبث تعاليمها في أنحاء البلاد واستمالة الرأي العام في أوربا، واتخذوا مركز هذه الجمعيات في الروسيا والنمسا لتكون على اتصال بالحكومات الأوربية وبمنجاة من اضطهاد الحكام الأتراك. وأهم هذه الجمعيات جمعية كبيرة تسمى (هيتريا) تألفت سنة (١٨١٥م) لتحرير اليونان من الحكم التركي وبث روح الثورة في النفوس. وقد انضم إليها كل ذي مكانة في اليونان من الأعيان والشبان ورجال الدين، وعضدها كثير من أمراء أوربا ووزرائها وسراتها وذوي الرأي فيها، وساعدوها بأموالهم ونفوذهم، وعضدها قيصر روسيا إسكندر الأول الذي كان يؤيد مطالب اليونان تأييدًا كبيرًا، وقرب إليه بعض زعمائهم، فاستوزر منهم المسيو «كابو دستريا» Capo Distria

وجعله موضع ثقته، واستخدم في الجيش الروسي ضابطًا يونانيًّا يسمى «إسكندر ابسلنتي» جعله ياوره، وكان له شأن أيما شأن في الثورة اليونانية.

وإلى هذه الجمعية يرجع الفضل الأكبر في تعميم الدعوة إلى الثورة في بلاد اليونان.

وقد ظلت حتى سنة (١٨٢١م) تعمل في السر وتدأب في خلال تلك المدة على دعوة الشعب اليوناني إلى تأييدها والاندماج في صفوفها، ثم تشعبت فروعها في الأقاليم وفي عواصم ولايات البلقان حتى بلغ أعضاؤها سنة (١٨٢١م) نيفًا وعشرين ألف عضو يحملون السلاح متهيئين للموت في سبيل الاستقلال.

اتصلت هذه الجمعية بقيصر روسيا، وكان سببها إليه وزيره «كابو دستريا» والضابط «ابسلنتي»، فاعتزت بهذه الصلة وبتعضيد أنصارها، ووضعت بادئ الأمر برنامجًا واسع النطاق مؤداه استقلال إمارات البلقان كلها، وطرد الأتراك من أوربا، وإحياء الدولة البيزنطية القديمة، وعهدت برياستها إلى الضابط إسكندر ابسلنتي المتقدم الذكر.

فشبَّت الثورة بزعامته في (ياسي) من أعمال ولايتي البغدان والأفلاق (رومانيا) في شهر مارس سنة (١٨٢١م)، واختارت الجمعية تلك الجهة لقربها من الروسيا حتى تمدها بجيوشها.

لكن الثورة لم تصادف في دورها الأول تعضيدًا حربيًّا من الروسيا؛ لأنها قامت في الوقت الذي كان ملوك أوربا المستبدون -ومنهم قيصر الروسيا- يأتمرون بالحركات القومية ويتألبون عليها لقمعها، وكان (مترنيخ) وزير النمسا الأكبر قوام هذه المؤامرة وله الكلمة النافذة على الحكومات المؤتمرة، فالثورة التي تولى زعامتها (ابسلنتي) قامت وقيصر الروسيا يتفاوض في مؤتمر (ليباخ) لإخضاع الثوار في مملكة نابولي، فكان من التناقض أن يأتمر بالثورات القومية ثم يشد أزر الثورة في البلقان، ومع أن الثورة إنما قامت بتحريض قيصر الروسيا فإنه اضطر إلى إنكارها وتخلى عن ابسلنتي

وأعوانه، وتركهم وجهًا لوجه أمام تركيا فجردت عليهم جيشًا عبر الدانوب وهزمهم، ففر ابسلنتي إلى المجر حيث اعتقلته الحكومة النمساوية (يونية سنة ١٨٢١م) ففشلت بذلك الثورة اليونانية شمالي البلقان.

إعلان الثورة في الموره (٢٥ مارس سنة ١٨٢١م)

على أنَّ الثورة لم تكن قاصرة على شمال البلقان؛ بل كانت جذورها متأصلة في بلاد اليونان نفسها -أي في شبه جزيرة الموره- فهبت الثورة فيها، وكان لها طابع ديني، فلا غرو أن كان أول من أعلنها ونادى بها على رءوس الأشهاد هو «القس جرمانوس» أسقف باتراس (شمالي الموره)، فقد غادر باتراس وسار إلى «كلافريتا» Klavarita يتبعه الأنصار والأعوان، وهناك في يوم (٢٥ مارس سنة ١٨٢١م) نادى بالثورة ودعا قومه إليها، واتخذ شعارها: الإيمان، والحرية، والوطن.

فلبى اليونانيون الدعوة ورفعوا علم الجهاد في البر والبحر؛ ففي البحر أخذت سفنهم المسلحة تقطع الطريق على المراكب التركية ببحر الأرخبيل وتأسرها أو تدمرها، وتوقع بركابها قتلًا وأسرًا ونهبًا، وفي البر استولى الثوار على أهم مدن الموره، واحتلوا (تريبولتسا) عاصمتها، ونكلوا بالأتراك المقيمين بها تنكيلًا فظيعًا، ثم تألفت (جمعية وطنية) من ستين نائبًا يمثلون المقاطعات الثائرة، وانعقدت في (يناير سنة ١٨٢٢م)[١] وأعلنت استقلال الأمة اليونانية، ووضعت لليونان دستورًا قوميًّا.

ثم اتخذت الحكومة الثورية منذ سنة (١٨٢٣م) مدينة (نويلي) عاصمة ومقرًّا لها، وقد ساعد الثورة في بداءة عهدها أن الجنود التركية بقيادة خورشد باشا[٢] كانت مشغولة بمقاتلة علي باشا الثائر الشهير في يانينا، فلما أخمدت ثورة علي باشا وانتهت بقتله زحفت الجنود التركية على الموره، وكانت لها الغلبة في بدء القتال، ثم دارت

(١) بمدينة إبيدور Epidaure برئاسة إسكندر مافرو كروداتو.

(٢) هو الذي كان واليًا على مصر سنة (١٨٠٤م) وثار عليه الشعب وخلعه وأجلس محمد علي باشا مكانه سنة (١٨٠٥م)، كما بينا ذلك بالجزء الثاني من «تاريخ الحركة القومية» ص٣٥٧، الطبعة الأولى.

عليها الدائرة وتضعضع الجيش التركي وظهر عليه الثوار، وازداد الثوار جرأة بما نالوه من الفوز في بحر الأرخبيل حيث أحرقوا كثيرًا من السفن التركية، وعاثوا في البحر فسادًا، وأحيوا عهد القرصنة.

استعانة تركيا بالأسطول المصري

ولما استفحل أمر السفن اليونانية في البحر أرسل السلطان محمود إلى محمد علي يعهد إليه أن يجرد أسطوله لتطهير البحر من قرصنة هذه السفن، وكان ذلك سنة (١٨٢١م)، أي قبل الحملة المصرية على المورة.

ذكر المسيو «مانجان»[١] أن محمد علي أعد الأسطول في الإسكندرية حيث أقلع منها في (١٠ يولية سنة ١٨٢١م) بقيادة الأميرال إسماعيل جبل طارق[٢]، وكان مؤلفًا من (١٦) سفينة كاملة السلاح والعتاد، وبها (٨٠٠) مقاتل بقيادة طبوز أوغلي فاتجه الأسطول إلى مياه رودس لمطاردة السفن اليونانية والتقى بالأسطول التركي في

---

(١) في كتابه «تاريخ مصر في حكم محمد علي» ج٢، ص٢٤٠.

(٢) تذكره بعض المراجع الفرنسية باسم «إسماعيل جبل طارق» وبعضها باسم «إسماعيل الجبل الأخضر»، مما يجعلنا نشك في هذا اللقب الذي ليس من الأعلام المألوفة في ذلك العصر، فالاسم الموثوق به أنه الأميرال إسماعيل بك، ويقول إسماعيل باشا سرهنك في كتابه (حقائق الأخبار عن دول البحار) ج٢ ص٢٣٨: إن الأسطول الذي أقلع لتأديب الثوار اليونان في ذلك العهد كان بقيدة محرم بك، ويورد أمرًا من محمد علي إليه في هذا الصدد تاريخه ٢٤ رمضان سنة ١٢٣٦هـ (يوافق ٢٥ يونية سنة ١٨٢١م) وهذا نصه: «قد علم لكم أنه أحيل تأديب وتربية الأروام الثائرين على الدولة العلية على عهدتي، وبما أن السفن الحربية التي جرى استعدادها لغاية الآن قد بلغت أربع عشرة سفينه. ولو أن قيادتها عائدة علي، إلا أنه لكثرة أشغالي قد عينتكم بدلًا عني لقيادتها، فتوكلوا على الله وأسرعوا بالإقلاع بها للجهة المقصودة، وأدوا الخدمة اللازمة عليكم في هذه المأمورية بحسب ما تقضي عليكم حقوقها المقدسة. وقد تحررت صورة من هذا الأمر إلى مطوش قبودان الذي تعينت سفينته بمعيتكم».

نقول: وهذا لا يمنعنا أن نرجح رواية المسيو «مانجان»؛ لأنه عاصر الحوادث التي كتب عنها، وروايته تؤيدها المراجع الفرنسية الأخرى، ويجوز أن محمد علي عهد إلى الأميرال محرم بك بقيادة الأسطول نيابة عنه، كما جاء في الأمر؛ لكن الذي سافر فعلًا وقاد الأسطول هو «إسماعيل بك» كما يقول مانجان.

الدردنيل، ثم عاد إلى الإسكندرية في (مارس سنة ١٨٢٢م) ليتأهب لنقل الحملة إلى جزيرة كريت.

رواية الجبرتي

أشار الجبرتي إلى بعض هذه الوقائع في حوادث (ذي القعدة سنة ١٢٣٦هـ، أغسطس سنة ١٨٢١م) -وهو آخر ما دونه في كتابه- قال:

«وفي منتصفه سافر الباشا إلى الإسكندرية لداعي حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة، ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر، وقطعهم الطريق على المسافرين، واستئصالهم بالذبح والقتل، حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من إستانبول وفيها قاضي العسكر المتولي قضاء مصر ومن بها أيضًا من السفار والحجاج، فقتولهم ذبحًا عن آخرهم ومعهم القاضي وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك، وشاع ذلك بالنواحي، وانقطعت السبل، فنزل الباشا إلى الإسكندرية وشرع في تشهيل مراكب مساعدة للدونانمة السلطانية، وسيأتي تتمة هذه الحادثة»[(١)].

الحملة المصرية على كريت

شبَّت الثورة في جزيرة «كريت» سنة (١٨٢١م) كما شبَّت في بلاد المورة نفسها وفي جزر الأرخبيل، وظهر الثوار على الحاميات التركية التي اضطرت إلى الامتناع في بعض القلاع بالجزيرة، فعهد السلطان محمود إلى محمد علي إخماد الثورة فيها، فأعدَّ محمد علي حملة من (٥٠٠٠) جندي بقيادة حسن باشا، وأقلعت بهم العمارة المصرية من الإسكندرية قاصدة إلى جزيرة كريت، فنزل الجنود إلى البر في (يونية سنة ١٨٢٢م)، واستمرت الحرب سجالًا إلى سنة (١٨٢٣م)، وقاتل المصريون الثوار قتالًا شديدًا، وأنقذوا الحاميات التركية المحصورة في القلاع، ومات حسن باشا خلال

---

(١) لم يرد ذِكْر لهذه التتمة؛ لأن كتاب العلامة الجبرتي ينتهي بحوادث ذي الحجة سنة ١٢٣٦هـ (سبتمبر سنة ١٨٢١م).

الفتح، فخلفه حسين بك في قيادة الجند، ودامت الحرب إلى أن ظفر المصريون بالثوار وضيقوا عليهم وحصروهم في جهة من الساحل وشتتوا شملهم، وفر الكثير منهم إلى الجزر اليونانية الأخرى، واستتبت السكينة في الجزيرة.

وكذلك أخمد الجنود المصريون الثورة في جزيرة قبرص.

الحملة على الموره

أمَّا في بلاد المورة ذاتها فقد استمرت الحرب سجالًا بين الجيش التركي والثوار إلى سنة (١٨٢٣م)، وشعر السلطان العثماني بعجزه عن إخماد الثورة وأدرك ما كبدته إياه من الخسائر الجسيمة، ورأى في الوقت نفسه أن محمد علي باشا أخذ في تنظيم جيشه على الطراز الحديث وتثبيت داعائم ملكه العظيم، فخشي إذا استمر ماضيًا في هذا السبيل أن يقوى على تركيا ويحقق فكرة الانفصال عنها وإعلان الاستقلال، فأراد أن يشركه في الحرب اليونانية ليحقق بذلك غرضين؛ أولهما الاستعانة بالجيش المصري على إخماد ثورة اليونان، والثاني صرف محمد علي باشا عن المضي في تنظيم الجيش ومضاعفة قوته، فعهد إليه تجريد جيشه على الثوار في بلاد اليونان، وأصدر له فرمانًا يدعوه إلى ذلك ويخوله ولاية الموره.

كان هذا الفرمان بمثابة توسيع لنطاق الدولة المصرية وبسط لنفوذها فيما وراء البحار، وبالتالي يرفع من شأن محمد علي ويزيد من مكانته، ولم يكن محمد علي ليرفض أن يعلو شأنه ويتسع ملكه، كما أن استنجاد تركيا بجيشه كلما قصرت يدها وعجزت عن مقاومة الثورات سواء في الحجاز أو في اليونان مما يزيده فخرًا ويوطد مركز الدولة المصرية التي أسسها، فلم يكن هناك بد من تلبية دعوة تركيا، هذا فضلًا عن أنه إذا رفض ما عرضه عليه السلطان من التكريم والتكليف، فإن رفضه يكون حجة في يد الساعين إلى خلعه عن عرشه وإظهاره بمظهر الخارج عن إرادة السلطان، وهو لم يكن قد توصل بعد إلى تقرير مركز مصر السياسي حيال تركيا، فقد كان لم يزل (واليًا)، وللسلطان (رسميًّا) أن يعزله.

وقد وازن محمد علي بين هذه الاعتبارات واستشار أعضاء أسرته وكبار رجال حكومته، فاستقر رأيه على أن يجيب دعوة الباب العالي.

معدات الحملة

بذل محمد علي همة كبرى في تجهيز معدات الحملة على الموره، فأعد جيشًا بريًّا من الجيش النظامي الجديد بقيادة نجله الأكبر (إبراهيم) بطل الحجاز وقاهر الوهابيين، يتألف في بدء الحملة من (١٧٠٠٠) مقاتل من المشاة، وأربع بلوكات من المدفعية، وسبعمائة من الفرسان، وجهزهم بالمدافع والبنادق والذخائر، وأعد عمارة بحرية مصرية لنقل الحملة ومهماتها يحرسها الأسطول المصري بقيادة الأميرال إسماعيل جبل طارق، وكانت القيادة العليا لإبراهيم باشا.

تألفت العمارة من (٥١) سفينة حربية، و(١٤٦) سفينة نقل[١]، واجتمعت في ميناء الإسكندرية، فكان منظرها يأخذ بالألباب، قال المسيو «دريو» في هذا الصدد: قد اشترى محمد علي من أوربا كثيرًا من السفن بحيث صار عنده عمارة ضخمة تشبه الأرمادا[٢]، ولم ير الشرق حملة تدانيها في ضخامتها منذ حملة بونابرت، فكأن الشرق أراد أن يغزو الغرب جوابًا على حملة أوربا عليه، وهكذا تنقلب الأطوار في سير التاريخ[٣].

الحرب البحرية على شواطئ الأناضول

أقلعت العمارة المصرية من ثغر الإسكندرية في (شهر يولية سنة ١٨٢٤م)، ولم تقصد إلى شبه جزيرة المورة رأسًا؛ بل اتجهت إلى مياه رودس، ومنها إلى خليج

---

(١) اعتمدنا في هذا البيان على إحصاء المسيو «دروفتي» قنصل فرنسا الذي رأى العمارة في الإسكندرية وكتب عنها إلى وزير الخارجية الفرنسية في رسالة وردت ضمن وثائق المورة التي نشرتها الجمعية الجغرافية وثيقة رقم (١٤).

(٢) هي العمارة الكبيرة التي أعدها «فيليب الثاني» ملك إسبانيا لمحاربة إنجلترا في القرن السادس عشر.

(٣) «دريو» «تاريخ اليونان السياسي» ج١، ص٢٥٧.

(ماكري) على شاطئ الأناضول لتلتقي بالأسطول التركي الذي نيط به مطاردة السفن اليونانية في مياه بحر الأرخبيل وتطهير البحر من قرصنتها، وإخماد الثورة في الجزر.

ولما وصلت العمارة إلى خليج (ماكري) أنزل إبراهيم باشا جنوده إلى البر وتهيأ للإقلاع بأسطوله شمالًا ليتصل بالأسطول التركي الذي جاء من الدردنيل بقيادة «خسرو باشا»، فالتقى به في ميناء بودروم (على شاطئ الأناضول) في أواخر أغسطس. ولما التقى الأسطولان ظهر الفرق جليًّا بين نظام الأسطول المصري وفوضى الأسطول التركي، وكان هذا الأسطول قد لاقى الأهوال من مهاجمة سفن الثوار اليونان، فقد كان لهؤلاء مهارة كبيرة في ركوب البحر وحولوا معظم مراكبهم التجارية إلى سفن مسلحة أعدوها لغزو السفن التركية، وكان أشدها فتكًا السفن المعروفة بالحراقات فإنها كانت تقذف بنفسها على السفن العثمانية فتحرقها بنارها، وقد اشتبكت بأسطول خسرو باشا واعترضت طريقه في مياه جزيرة ساموس، فأحرقت بارجة الأميرال وسفينتين أخريين، وتراجعت العمارة التركية جنوبًا حتى التقت بالعمارة المصرية في مياه (بودروم) كما أسلفنا.

هاجمت السفن اليونانية العمارتين بالقرب من بودروم ودارت رحى القتال بين الفريقين، فلاذ الأسطول التركي بالفرار من الميدان، أما إبراهيم باشا فقد صمد للسفن اليونانية حتى اضطرها إلى التقهقر (سبتمبر سنة ١٨٢٤م).

واتصلت العمارتان المصرية والتركية ثانيًا وسارتا إلى مياه جزيرة (مدللي) ثم تابعت العمارة التركية سيرها شمالًا إلى الدردنيل.

ورجع الأسطول المصري جنوبًا، فاعترضته السفن اليونانية في مياه جزيرة (ساقز) واشتبكت به في معركة شديدة أفضت إلى غرق سفينتين مصريتين (أكتوبر سنة ١٨٢٤م) ثم عاد إبراهيم بأسطوله إلى ميناء (بودروم).

أدرك إبراهيم باشا من هذه الوقائع أن هزيمة اليونان لا تكون على ظهر البحر حيث لهم السفن المنبثة في نواحيه، وأن خير وسيلة للغلبة عليهم هي القضاء عليهم برًّا

في شبه جزيرة الموره، فرجع أدراجه إلى ميناء (مر مريس) جنوبًا، ثم أقلع إلى جزيرة كريت في (ديسمبر سنة ١٨٢٤م) ورسا بالعمارة في خليج السوده حيث أخذ يتحين الوقت المناسب للإقلاع إلى ساحل الموره.

ولقد برهن إبراهيم باشا خلال هذه الوقائع البحرية على شجاعته التي امتاز به في حروب البر، فإنه صمد عدة أشهر لقتال السفن اليونانية التي اشتهرت بعظيم قدرتها في خوض غمار البحار ومهارتها في مهاجمة السفن الحربية، ولولا عزيمته ورباطة جأشه في مواجهته المخاطر لتشتت العمارة المصرية وتبددت أمام هجمات السفن اليونانية، قال المسيو (دوان) في هذا الصدد[1]:

«مضت خمسة أشهر على مغادرة العمارة المصرية ثغر الإسكندرية، خمسة أشهر تقضت في جهود شاقة، ومتاعب لا هوادة فيها، ومخاطر تجدد كل يوم، وإن ما أبداه إبراهيم باشا في هذه الظروف من الثبات ورباطة الجأش لمما يسترعي النظر، فإن قيادة أسطول بحري تصحبه عمارة من سفن النقل لمن المهام التي لا يسهل الاضطلاع بها، وإن إبراهيم باشا في قيادته عمارة من مائة سفينة تقل نحو عشرين ألف رجل من جنود وبحارة قد اضطلع بمثل المهمة التي حملها بونابرت من قبل، مع حفظ النسبة بين الموقفين، حينما اجتاز البحر الأبيض في أواخر القرن الماضي بعمارة من (٢٨٠) سفينة تقل (٣٨,٠٠٠) مقاتل. وإذا تذكرنا أن مصر لم يكن لها إلى ذلك الحين أسطول منتظم، ولا تقاليد بحرية، ولا هيئة من الضباط البحريين الأكفاء ولا العدد الكافي من البحارة المدربين، وكان على إبراهيم باشا أن يبتكر وينظم على الفور كل ما يلزم الحملة البحرية من سفن حربية وسفن للنقل، ورجال وعتاد، وأن يروض نفسه على ركوب البحر والقتال بين أمواجه وأهواله، إذ تذكرنا كل ذلك، فإنه يحق لنا أن نعجب كيف أن العمارة التي حشدها محمد علي أمكنها أن تبقى خمسة أشهر تجوب البحار دون أن تتفكك أوصالها، وكيف استطاعت أن تثبت أمام الوثبات والهجمات الشديدة التي

(١) في كتابه «فرقاطات محمد علي الأولى» ص١٢.

استهدفت لها وأصابتها من عدو له حظ كبير من المهارة من غير أن تخسر سوى سفينتين حربيتين وبضعة نقالات. ولا شك أن هذه الحقائق تدلنا على مضاء عزيمة إبراهيم باشا وعلو همته، وتطالعنا بما تحتويه نفسه من صفات العظمة ومزايا الرياسة والقيادة، كما أن مواقفه في ميادين القتال ورباطة جأشه في مغالبة المحن تدل على شجاعة كبرى لا يسع أي إنسان إلا أن يبادر بالإعجاب بها».

النزول إلى بر الموره

قلنا: إنَّ إبراهيم باشا مضى بعمارته إلى جزيرة كريت، وأخذ يتحين خلو البحر من السفن اليونانية ليقلع إلى شواطئ الموره، وقد تهيأت له الفرصة إذ وقع اضطراب بين بحارة السفن اليونانية لتأخر عطائهم وتنازع زعمائهم من رؤساء الحكومة الثورية، فأبى البحارة الاستمرار في القتال، فلما علم إبراهيم باشا بهذا النبأ انتهز الفرصة فأقلع بعمارته من (خانيه) إلى ميناء (مودون) جنوبي الموره، وأنزل جنوده إلى البر في (فبراير سنة ١٨٢٥م)، وألفى القوات التركية في أسوأ حال لغلبة الثوار عليهم بحرًا وبرًّا، ولم يبق تحت يد الترك من المواقع سوى (مودون) التي نزل بها إبراهيم باشا، وميناء (كورون) التي كان يحاصرها اليونانيون.

حصار نافارين

أقام إبراهيم باشا في (مودون) قليلًا يدبر شئون جنده ويرسم خطة الزحف على داخل البلاد، ثم سار منها مع نخبة من جيشه قاصدًا (كورون) لنجدتها، فغلب اليونانيين وفك الحصار عنها، وأدخل إلى الجنود المحصورة المدد والمؤن، ثم أنفذ فرقة من جيشه لضرب الحصار على مدينة (نافارين) التي كان الثوار قد استولوا عليها وامتنعوا بها، وكانت من أهم مواقع الموره، فحاصرها برًّا وبحرًا، واشتدت مقاومة اليونانيين وتكبد المصريون الأهوال في حصار المدينة، فقام إبراهيم باشا مع بقية جيشه من (مودون) ليشدد الحصار على نافارين، فهاجمته في طريقه إليها فرقة من اليونانيين يبلغ عددها ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل أتوا لنجدة حامية (نافارين) فهزمهم إبراهيم

باشا وأسر قائدهم وبدد شملهم وشدد الحصار على المدينة برًّا وبحرًا، وكادت تشرف على التسليم لولا قدوم جيش من متطوعي اليونايين يبلغ تسعة آلاف مقاتل؛ جاءوا لرفع الحصار عن المدينة وقهر الجيش المصري.

لكن إبراهيم باشا قابل هذا الجيش بشجاعة ونظام بديع، فصف جنوده على ترتيب محكم، ولما أصبح الأعداء على عشرة أميال ركب المدافع القوية حول المدينة وترك جزءًا من جيشه يتولى حصارها وقام ببقية والتقى باليونانيين على مقربة من البلد، فهجم هؤلاء بحماسة عظيمة ولكن من غير نظام. أما إبراهيم باشا فقد أمر جنوده في مواقعهم دون أن يطلقوا النار حتى تصدر إليهم الأوامر بذلك، فلما صار العدو على مائة متر قابله الجنود المصريون بإطلاق النار دفعة واحدة، فحصد الرصاص الصفوف المتقدمة حصدًا، وألقى الرعب في قلوب المهاجمين واختلت صفوفهم، ولم يمض قليل حتى قتل معظم جنود اليونانيين وتشتت الباقون في الجبال وفي أنحاء اليونان.

كان هذه الواقعة هزيمة كبرى أصابت اليونايين وفتَّت في عضدهم وزلزلت آمالهم، كما أنها كانت نصرًا مبينًا للجيش المصري، انتهت بسحق الجيش اليوناني وغنم المصريون فيها غنائم كثيرة وأسروا عددًا عظيمًا من الأسرى، فيهم عدة من الضباط ورؤساء الجند الذين عليهم اعتماد اليونانيين في تنظيم حركاتهم الحربية.

وقد رفعت هذه الواقعة من شأن الجيش المصري؛ فإنها أول معركة خاضها في القارة الأوربية بعد حروبة السابقة في آسيا وإفريقية، وكانت فاتحة انتصاراته في حرب الموره، وقد شهد الجميع للجيش المصري بالنظام والشجاعة والثبات، وكان مسلك الجنود فيها حيال أعدائهم مسلكًا إنسانيًّا رائعًا، فلم يرتكبوا شيئًا من الفظائع، وكانوا يحسنون معاملة الأسرى اليونانيين، كما أن أطباء الجيش المصري كانوا يعنون بتضميد جراحهم إنفاذًا لأوامر إبراهيم باشا.

تمكن الجيش المصري بعد هذه الواقعة من تشديد الحصار على (نافارين) برًّا، ولكن المدينة لوقوعها على البحر كان يأتيها المدد والمؤن، فرأى إبراهيم باشا أن لا سبيل إلى منع وصول المدد إليها إلا إذا استولى على جزيرة اسفاختريا التي تحجب المرفأ ليتمكن من تركيب المدافع بها وإقفال مدخل الميناء ومنع دخول المدد إليها، وكان اليونانيون يعرفون ما لهذه الجزيرة من الأهمية، فحصنوها ووضعوا فيها عدة بطاريات من المدافع، فكان الاستيلاء عليها من أشق الأمور. على أن إبراهيم باشا بعد أن شاور أركان حربه رأى أن فتح (نافارين) مستحيل بغير الاستيلاء على هذه الجزيرة، فصمم على احتلالها وعهد بهذه المهمة إلى سليمان بك (باشا) الفرنساوي[١] (مايو سنة ١٨٢٥م).

فاختار سليمان بك نخبة من الجنود ممن مهروا في النظام الجديد، وسار بهم من (مودون) بحرًا قاصدًا (نافارين)، ولما علم اليونانيون بأن هذه القوة آتية لاحتلال الجزيرة عززوا حاميتها بقوة من شبانهم ومقاتلتهم.

فلما صارت السفن المصرية على مرمى المدفع أطلقت قلاع العدو المدافع عليها، فلم تتزلزل قلوب المصريين، وأجابوا بضرب المدافع من السفن، ونزلت العساكر البرية منهم في الزوارق وقصدوا الجزيرة تحت وابل من القنابل، فتمكنوا من الوصول إلى البر وترامى الفريقان بإطلاق البنادق، ثم هجم المصريون هجوم الأبطال، وكان عددهم (١٢٠٠) مقاتل، واحتلوا الجزيرة عنوة بعد أن دافع اليونانيون دفاعًا شديدًا عنها، ولكن المصريين غلبوهم بحسن نظامهم وشجاعتهم ورفعوا العلم المصري على استحكامات الجزيرة.

---

(١) «فولابل» «مصر الحديثة» جزء٢، ص٣٢١.

استيلاء المصريين على نافارين (مايو سنة ١٨٢٥م)

كانت نتيجة هذه الواقعة أن شدد الجيش المصري الحصار على نافارين برًّا وبحرًا، وقد حاول اليونانيون أن يمدوا المدينة المحصورة بالرجال والعتاد، فكان إبراهيم باشا يفسد كل محاولة من هذا القبيل، فلما يئس الجنود المحصورون من وصول المدد إليهم طلبوا من إبراهيم باشا أن تسلم إليه المدينة بقلاعها وما فيها من المؤن والذخائر والأسلحة بشرط أن يؤمنهم على حياتهم، فاستجاب لهذا الطلب (١٨ مايو سنة ١٨٢٥م) ودخل المدينة، فكان دخول الجيش المصري إليها من أعظم الانتصارات التي تزين تاريخه الحربي، وكان لسقوطها أثر بالغ في الموقف الحربي جعل اليأس يدب في صفوف اليونانيين، ووطد مركز الجيش المصري؛ لأن (نافارين) و(مودون) و(كورون) هي قواعد حربية هامة يتسلط منها الجيش على الموره.

نشاط السفن اليونانية

وفي خلال القتال تمكنت السفن اليونانية التي بميناء نافارين من الإفلات من الحصار إلا سفينتين وقعتا في أسر المصريين، وانضمت إلى السفن اليونانية التي تمخر في بحر الأرخبيل، فأخذت تنشط لمحاربة العمارة المصرية، وتمكن الأميرال اليوناني (موليس) من الاقتراب من ميناء (مودون) التي كانت العمارة المصرية راسية بها[1]، واستطاعت الحراقات اليونانية أن تشعل النار في السفن المصرية الراسية خارج الميناء، وكانت الريح شديدة، فاندلعت النار إلى باقي السفن، فتعذر إطفاؤها، ولم ينج بحارتها بأنفسهم إلا بعد عناء شديد، وذهب كثير من السفن في هذا الحريق، وامتدت النار إلى المدينة فالتهمت جزءًا منها، وتناولت مخازن البارود فنسفتها وتهدم بنيانها وهدمت الأماكن المجاورة لها، وقد وقعت هذه الحادثة أثناء حصار نافارين، فلم تفت في عضد إبراهيم باشا ولم تثنه عن عزمه، ودأب في القتال إلى أن استولى على المدينة.

(١) ١٧ مايو سنة (١٨٢٥م).

مهاجمة السفن اليونانية سواحل مصر

وفي غضون الحرب استهدفت السواحل المصرية لقرصنة السفن اليونانية التي أحفظها اشتراك مصر في الحرب، فأقبلت ثلاث من حراقات اليونان إلى بوغاز الإسكندرية ودخلت واحدة منها إلى الميناء ووصلت أمام طابية صالح، وأشعلت نارها تريد إحراق الأسطول المصري الذي كان راسيًا أمامها، وهي الطريقة التي اشتهرت بها الحراقات اليونانية ودمرت بها كثيرًا من السفن العثمانية، ولكن حراس القلعة بادروا إلى إطلاق المدافع على السفينة اليونانية، وبادرت السفن الحربية المصرية إلى إرسال بعض زوارقها المسلحة بالمدافع فهاجمتها وأخمدت نارها، وبرهنت في تلك الحركة على مهارتها ويقظتها، فلما رأت السفينتان اليونانيتان الأخريان ما حلَّ بالأولى لاذتا بالفرار.

ولما علم محمد علي باشا بهذه المحاولة الجريئة أصدر أمره إلى محرم بك أميرال الأسطول المصري ووكيله بلال أغا بالخروج مع خمس سفن حربية لتعقب الحراقتين اليونانيتين، وخرج محمد علي صحبة هذه الحملة على ظهر السفينة الحربية (جناح بحري)، ولكن الحملة لم تستطع اللحاق بالحراقتين، وقد تابع محرم بك تجواله بالأسطول حتى بلغ مياه رودس حيث كانت السفن اليونانية، فلما أبصرت الأسطول المصري لاذت بالفرار وأقلعت إلى مياه الأرخبيل.

فتح كلاماتا Kalamata

لما سقطت (نافارين) اعتصم الثوار اليونانيون وعددهم نحو خمسة آلاف بقيادة (بتروبك) في ميناء (كلاماتا) -وكانوا من سكان الجبال المشهورين بالشجاعة وشدة البأس- وأجمعوا الاستبسال في مقاومة الجيش المصري، فمضى إليهم إبراهيم باشا، ولما وصل إلى (كلاماتا) اشتد القتال بين الجيش المصري والثوار اليونانيين وانتهى بهزيمة اليونانيين ودخول الجيش المصري المدينة، واحتل إبراهيم باشا كذلك القلاع والقرى الصغيرة القريبة من كلاماتا بعد مقاومات محلية قتل فيها حاميات تلك

القرى، أو وقعت في الأسر، وفتح كذلك (أركاديا) الواقعة على البحر غرب الموره. (انظر: مواقع هذه البلاد بالخريطة ص١٨٨).

فتح مدينة تريبولتسا Tripoltza (يونية سنة ١٨٢٥م)

كانت (تريبولتسا) عاصمة المورة والواقعة في قلب شبه الجزيرة معقلًا منيعًا للثوار، اختاروها وجعلوها مثابة للمقاومة الأهلية لمنعة موقعها وصعوبة الوصول إليها، فقرر إبراهيم باشا الزحف عليها للقضاء على الثورة في معقلها فشرع في اجتياز جبل (تايجنت).

وكان اجتياز مضايق هذا الجبل الوعر من أشق الأمور لوعورة الطرق واستهداف من يجتازها للأخطار، وقد هزم إبراهيم باشا عند مضيق كورشيكا قوات الثوار التي كان يقودها الثائران الشهيران (كولوكترولي) و(بتراكو) وكان غرضها أن يسدا الطريق أمام إبراهيم باشا ويحميا بمجموعها موقع (تريبولتسا)؛ ولكن الجيش المصري قهر هذه القوات وقتل في هذه المعركة نحو خمسمائة من اليونانيين ودخل مدينة تريبولتسا فوجدها خالية من السكان؛ إذ أخلاها أهلها بعد أن أضرموا فيها النار قبل رحيلهم وأووا إلى الجبال.

وبعد أن تمَّ لإبراهيم باشا فتح مدينة (تريبولتسا) تابع زحفه لمطاردة القوات اليونانية، فقصد وادي أرجوس Argos وقهر حشدًا من الثوار بقيادة إبسلانتي، وفي (٢٧ يولية سنة ١٨٢٥م) عرج بوادي (لكونيا) حيث كان الثوار يرابطون في معاقله، فهزمهم واستولى على استحكاماتهم، وكذلك احتل باتراس، وبذلك صار شبه جزيرة (موره) في قبضة الجيش المصري عدا مدينة (نويلي) عاصمة الحكومة الثورية، فأخذ يتأهب لحصارها.

فتح مدينة ميسولونجي (٢٢ إبريل سنة ١٨٢٦م)

بينما كان إبراهيم باشا يتأهب لحصار (نويلي) جاءه نبأ من رشيد باشا قائد الجيوش التركية يطلب منه النجدة والمدد ليعاونه في حصار ميسولونجي، فعدل مؤقتًا عن حصار (نويلي) وولى وجهه شطر (ميسولونجي).

كان رشيد باشا يحاصر هذه المدينة منذ مدة طويلة دون أن ينال منها منالًا، وكان موقعها ذا منعة لوقوعها على خليج (باتراس) واتصالها بالبحر حيث كان يجيئها المدد من طريقه، ولم تستطع العمارة التركية أن تحصرها من هذه الناحية؛ لوجود السفن والحراقات اليونانية بقيادة الأميرال (ميوليس) تمنعها الدنو من المدينة.

فلما عجز رشيد باشا عن متابعة حصار ميسولونجي، واستعصت عليه، بعث يستنجد بالجيش المصري، فأرسل إبراهيم باشا لوالده ينبئه بذلك، ويطلب منه أن يوافيه بالمدد، فأرسل له مددًا كبيرًا من الجند والعتاد.

فلما تلقى إبراهيم باشا ذلك المدد ترك ببلاد (موره) ما يكفيها من الحاميات، وعهد إلى الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوي) قيادة القوات المصرية في تريبولتسا وسائر بلاد الموره، وقام من فوره في عشرة آلاف من المشاة وخمسمائة من الفرسان إلى باتراس، ثم عبر الخليج وسار (بحرًا) قاصدًا مدينة ميسولونجي (فبراير سنة ١٨٢٦م) فاشترك مع رشيد باشا في الحصار، واتبع أولًا خطة رشيد باشا فأخفقت ورجع عنها منهزمًا، فطرح جانبًا خطط رشيد باشا، ورسم لنفسه الخطة التي نجحت في حصار (نافارين) وشدد الحصار عليها برًّا وبحرًا، وكانت العمارة المصرية البحرية يقودها الأميرال محرم بك، واحتل الجزر الواقعة على مدخل الميناء وحصنها ليمنع ورود المدد بحرًا إلى (ميسولونجي) كما فعل في نافارين.

وقد أراد إبراهيم باشا بادئ الأمر أن يتفادى أهوال القتال وسفك الدماء، فطلب من المدينة التسليم، فأبى أهلها أن يسلموا وأجمعوا أمرهم على المقاومة إلى النهاية مهما كلفهم من الضحايا، وأرسلوا إلى القائد اليوناني (كرايسكاكي) وكان على مقربة من

المدينة ينبئونه بأنهم عزموا على الخروج جميعًا في ليلة (١٢ إبريل سنة ١٨٢٦م)[١] وطلبوا إليه أن يهاجم الجيش المصري في ميعاد حددوه، فلما خرجزا في الوقت المعلوم في هدوئ وسكون مستترين في جنح الظلام، قابلهم الجيش المصري بنار كالصواعق حصدت صفوفهم حصدًا، فارتدوا إلى المدينة من غير نظام، وتعقبهم المصريون حتى دخلوا المدينة في أعقابهم، وأعملوا فيهم السيف والنار وقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

ولما ضاقت السبل بالبقية الباقية من المدافعين اجتمعوا في مستودع الذخائر - وكان عددهم نحو ألفين ما بين شيوخ وأطفال ونساء- واتفقت كلمتهم على أن يؤثروا الموت على التسليم، فوضوعوا البارود وأشعل فيه رئيسهم النار، فانفجر وخرَّ المكان على من فيه وقتلوا جميعًا، وقد احتمل المصريون في فتح المدينة خسائر جسيمة؛ فقد بلغ عدد قتلاهم في الهجمة الأخيرة نحو ألفي قتيل.

حصار أثينا

انفصل الجيش التركي عن الجيش المصري بعد فتح (ميسولونجي) فعاد إبراهيم باشا إلى (موره) وقصد الجيش التركي إلى مدينة (أثينا) لفتحها، ولم يكن بها من القوة ما يكفي لصد هجماته، فبادر القائد اليوناني (كرايسكاكي) والكولونيل (فافييه) الفرنسي إلى نجدة المدينة؛ ولكن رشيد باشا أحكم حصارها وما زال يشدد الحصار حتى سلمت (يونية سنة ١٨٢٧م).

إعداد محمد علي حملة جديدة

كانت حالة الثورة اليونانية في أوائل سنة (١٨٢٧م) تدعو إلى اليأس، فلم يكن بقي في أيدي الثوار سوى مدينة (نويلي) في بلاد الموره، وأثينا في الأتيك، وتمركزت قوة الثوار في جزيرة (هيدرا) و(اسبتزيا) من جزر بحر الأرخبيل، وقد عاث الثوار في البحر فسادًا، وازدادت قرصنتهم، وكثر انتهابهم للمتاجر التي تحملها السفن.

---

(١) «فولابل» «مصر الحديثة» ج٢، ص٣٥١.

فاعتزم محمد علي بعد سقوط ميسولونجي تجريد حملة جديدة بالاشتراك مع تركيا للقضاء على آخر معقل للثورة اليونانية.

فأعد مددًا من عدة آلاف من الجنود حشدهم في الإسكندرية كي يرسلهم إلى إبراهيم باشا، واجتمع بمينائها معظم الأسطول المصري، وكان قد عاد من ميناء اليونان لإصلاح ما عطب من سفنه، والعمارة التركية التي جاءت للغرض نفسه، وانضم إليهما من السفن الحربية الجديدة التي كان محمد علي أوصى بها من قبل في ثغور مرسيليا وليفورن وفينسيا (البندقية)، فكانت الإسكندرية في (إبريل سنة ١٨٢٧م) قاعدة لحملة كبيرة برية وبحرية تستعد للإقلاع إلى مياه اليونان للقضاء على آخر معقل للثورة في جزيرة هيدرا واسبتزيا وميناء نويلي.

تدخل الدول

وفي غضون ذلك كانت الدول الأوربية لا تفتأ تتفاوض لإنقاذ الثورة اليونانية، وترجع مفاوضتها إلى ما قبل سقوط ميسولونجي؛ ذلك أن الجمعيات اليونانية المنبثة في بعض العواصم الأوربية كانت تحرك الرأي العام الأوربي وتستصرخه للأخذ بناصر اليونان، وقد تحرك أيضًا نصراء الثورة اليونانية من رجال السيف والقلم في الروسيا وإنجلترا وفرنسا لدعوة الدول إلى التدخل لإنقاذ الثورة، ونهض منذ ابتداء الحرب جماعة من أقطاب الشعراء والأدباء أمثال اللورد بايرون وفيكتور هيجو وشاتوبريان وغيرهم يستصرخون الرأي العام الأوربي، ويضربون على الوتر الديني الحساس لتوجيه ميول الأمم والحكومات في أوربا إلى نجدة اليونانيين، وبلغ باللورد بايرون انتصاره لهم أن تطوع في صفوفهم ومات في مسيولونجي سنة (١٨٢٤م)، وجاشت العداوة القديمة بين تركيا والروسيا، فكانت الحكومة الروسية أسبق الدول إلى الرغبة في التدخل، وخاصة بعد أن تولى عرشها القيصر نقولا الأول خلفًا للإسكندر (ديسمبر سنة ١٨٢٥م) فإنه كان أقوى شكيمة من سلفه، فاعتزمت الروسيا أن تتدخل بمفردها لصالح اليونان؛ لكن إنجلترا خشيت أن تنفرد الروسيا

بالتدخل فيقوى نفودها في البلقان والشرق، ويعلو على نفوذ إنجلترا، فأوفدت إليها الدوق «ولنجتون» سفيرًا لديها لتوحيد أغراض الدولتين، وعقدتا اتفاقًا مبدئيًّا في (٤ إبريل سنة ١٨٢٦م) يرمي إلى تخويل اليونان استقلالها الداخلي مع بقاء السيادة التركية. ولما سقطت مسيولونجي كان لسقوطها تأثير كبير في الرأي العام الأوربي؛ لأن البطولة التي أظهرها أهلها في الدفاع عنها زادت من عطف الأوربيين عليهم، وتجددت المفاوضات بين الدول، ثم أسفرت عن إبرام معاهدة لندرة (٦ يولية سنة ١٨٢٧م)، وهي المعاهدة التي اتفقت فيها كل من إنجلترا وفرنسا والروسيا على التدخل بين تركيا واليونان لتقرير مصير المسألة اليونانية على قاعدة استقلال اليونان الداخلي مع بقاء السيادة التركية عليها، وقضت بأن تطلب الدول من الجانبين وقف حركات القتال تمهيدًا للوساطة بينهما، واتفقن فيما بينهن على أن يعرضن على الباب العالي هذه الوساطة، فإذا لم يقبلها في مدة شهر من إبلاغه نبأها يلجأن إلى القوة في تنفيذ مطالبهن.

أمَّا النمسا فلم تشترك في المعاهدة ولا في التدخل؛ اتباعًا لمبدأ وزيرها الأكبر «مترنيخ» وهو ألا يعضد أية ثورة يقوم بها شعب ضد حكومته الشرعية.

كانت هذه المعاهدة إنقاذًا للثورة اليونانية؛ لأنها أبرمت في الوقت الذي أشرفت فيه الثورة على الاحتضار وكانت تلفظ النفس الأخير، وقد تخاذل زعماؤها وسرى اليأس إلى نفوس أنصارها، فلما أبرمت المعاهدة ابتهج لها اليونانيون ابتهاجًا عظيمًا، وعاودهم الأمل في تحقيق مطالبهم بمعونة الدول الأوربية.

وكان الحلفاء يعلمون إصرار تركيا على رفض طلباتهم، فاتفقوا على إرسال أساطيلهم إلى مياه اليونان لتأييد مطالبهم بالقوة ولمنع السفن المصرية والعثمانية من الوصول إلى شواطئ اليونان وإرسال المدد إلى الجيش المصري والتركي بها.

فأنفذت إنجلترا إلى بحر الأرخبيل أسطولًا مؤلفًا من (١٢) سفينة بقيادة الأميرال «كودرنجتون» Cordrington، وجاء بعده الأسطول الفرنسي وعدده سبع سفن بقيادة

الأميرال «ريني» Rigny. أمَّا الأسطول الروسي وعدده ثماني سفن فقد جاء متأخرًا من طريق بحر البلطيق بقيادة الأميرال هيدن، فانضم إلى الأسطول الإنجليزي والفرنسي، وتولى القيادة العامة للأساطيل الثلاثة الأميرال الإنجليزي «كودرنجتون».

إقلاع الحملة المصرية إلى مياه نافارين

وأتم محمد علي تجهيز الحملة التي أعدها لإمداد إبراهيم باشا، فأقلعت العمارة البحرية من الإسكندرية في أوائل (أغسطس سنة ١٨٢٧م) بقيادة الأميرال محرم بك، وكانت مؤلفة من (١٨) سفينة حربية مصرية، و(١٦) سفينة تركية، وأربع سفن تونسية، وست حراقات وأربعين مركبًا لنقل الجنود وعددهم (٤٦٠٠) مقاتل، وكان الغرض الأول من الحملة محاصرة جزيرة (هيدرا) التي كانت أهم معقل للثورة اليونانية.

رست العمارة بميناء نافارين في (٩ سبتمبر ١٨٢٧م)، وانضمت إلى أسطول تركي آخر جاء من الأستانة بقيادة الأميرال طاهر باشا وعدده (٢٣) سفينة، وتولى إبراهيم باشا القيادة العامة لقوات البر والبحر، وأخذ يتأهب لحملة بحرية على جزيرة (هيدرا) وحملة برية ينفذها إلى شمالي (الموره).

أمَّا أساطيل الحلفاء فقد اتخذت مكانها بادئ الأمر بين جزيرتي هيدار وترميا.

وكان الأميرال كودرنجتون لا يفتأ يتجسس أخبار العمارتين المصرية والتركية لمنعهما من الوصول إلى سواحل اليونان، وإنزال المدد بالبر؛ ولكنهما وصلتا ثغر نافارين دون أن يشعر بهما الحلفاء، فلم يجدوا سبيلًا لمنعهما من دخول الميناء أو إنزال المدد، وبذلك أخفقوا في خطتهم الأولى.

وأخذت السفن المصرية والتركية مكانها في الميناء، وبَدَا الفرق جليًّا بين الأسطولين؛ فقد تفوقت السفن المصرية بحسن نظامها وترتيبها وجودة سلاحها. وفي هذا الصدد يقول الكابتن «فيلوز» أحد ضباط الأسطول الإنجليزي الذي جاء

يستطلع أخبار العمارتين في نافارين: «إنَّ السفن الحربية المصرية كانت تبدو في حالة جيدة جدًّا».

مقدمات واقعة نافارين البحرية

ساء الحلفاء وصول العمارة المصرية التركية إلى نافارين وإيواؤها إلى مكان حصين، فتحركت سفنهم وقصدت إلى تلك الميناء لإملاء شروط الحلفاء على إبراهيم باشا، وكان الأسطول الإنجليزي أسبق الأساطيل المتحالفة إلى الحضور؛ فقد وصل قبالة نافارين يوم (١٢ سبتمبر)، ثم أعقبة الأسطول الفرنسي فجاء يوم (٢١) منه. أما الأسطول الروسي فلم يجئ إلا في أوائل أكتوبر.

وقد بادر الأميرال كودرنجتون بفتح باب الشر، فأرسل إلى إبراهيم باشا رسولًا (يوم ١٩ سبتمبر ١٨٢٧م) يبلغه مطالب الحلفاء طبقًا لمعاهدة «لوندره»، ومضمونها وقف حركات القتال برًّا وبحرًا، وأبلغه أن الحلفاء أرسلوا أساطيلهم لمنع وصول السفن الحربية أو القوات البرية إلى أي جهة من اليونان، أو إلى جزائر بحر الأرخبيل، ومعنى هذا البلاغ إنذار إبراهيم باشا بالكف عن إرسال الحملة البحرية إلى جزيرة (هيدرا) أو تحرك جنود البر داخل شبه جزيرة الموره.

ولما جاء الأسطول الفرنسي قابل قومندانه الأميرال ريني إبراهيم باشا، وكرر عليه مطالب الحلفاء، ثم قابله مرة أخرى لهذا الغرض يصحبه الأميرال كودرنجتون، وكان القصد من هذه البلاغات والمقابلات إرهاب إبراهيم باشا وتهديده كي يعود بأسطوله إلى الإسكندرية؛ لكن البطل إبراهيم قابل تهديد الحلفاء بالثبات ورباطة الجأش، وكان جوابه أنه سيرسل إلى والده بالإسكندرية وإلى الباب العالي بالأستانة يطلب تعليماتهما في الموقف الذي يتخذه، وإلى أن يتلقى هذه التعليمات فإنه يتعهد ببقاء الأسطول في نافارين.

لم يكن الحلفاء صادقين في مسلكهم؛ لأن المعاهدة كانت تقضي بوقف حركات القتال من الجانبين؛ لكن خطة الحلفاء الحقيقية كانت ترمي إلى فرض هذا الشرط على

الجانب المصري والتركي فقط، مع ترك اليونانيين أحرارًا في حركاتهم البحرية والبرية داخل شبه جزيرة المورة أو في بحر الأرخبيل، وبذلك يقوى جانبهم ويتسنى لهم أن يجمعوا صفوفهم من جديد، وأن يتلقوا المدد ويهاجموا الحاميات المصرية ويوقعوا بها.

ولم يفت نظر إبراهيم باشا الثاقب إدراك هذه الخطة، فقد فطن إليها وتحققها، ومما يؤثر عنه في هذا الصدد أنه قال للأميرال ريني خلال حديثه معه: «إنكم تطلبون مني وقف كل حركات القتال، وفي الوقت نفسه تتركون الأروام يفعلون ما يشاءون، إن هذا ليس من الإنصاف في شيءٍ».

فسوء النية من ناحية الحلفاء كان أمرًا ثابتًا لا نزاع فيه، وهو الذي أدى إلى معركة نافارين البحرية. على أن إبراهيم باشا أراد أن يتفادى مسئولية القتال؛ لأن العلاقات بين تركيا والحلفاء كانت في الظاهر ودية حتى ذلك الحين، فتعهد ببقاء أسطوله في نافارين إلى أن ترد التعليمات من محمد علي والباب العالي، ورضي بهذا العهد مع أنه كان على تمام الأهبة لإنفاذ الأسطول إلى جزيرة هيدرا، ولو هو سار إليها لسحق آخر معقل لليونان، ولكن سياسة الحلفاء أبت عليه ذلك.

عقدت إذن هدنة وقتية بين إبراهيم باشا والحلفاء؛ ولكن اليونانيين انتهزوها فرصة وقاموا بحركات عدائية في خليج كورنت واعتزموا مهاجمة (باتراس) شمالي المورة بمعاونة الحلفاء، وكان الجيش المصري يحتلها، فأبلغ إبراهيم باشا الخبر إلى الأميرال كودرنجتون كي يمنع هذه الأعمال المنافية للهدنة، فلم يلق جوابًا مقنعًا، فاعتزم إمداد (باتراس) وسار بحرًا في عمارة من بعض السفن الحربية.

فثارت ثائرة الحلفاء، وعدوا هذا العمل نقضًا للهدنة، على حين أن إبراهيم باشا إنما تعهد بعدم مهاجمة جزيرة هيدرا، ولم يتعهد بالامتناع عن نجدة الحاميات المصرية في الموره، وكان مفروضًا أن يحترم الأروام الهدنة، ولكنهم نقضوها بحركاتهم الحربية، فاضطر إبراهيم باشا إلى معاونة الحامية المصرية في باتراس؛ لكن الأميرال كودرنجتون لم يكن يصغي لحكم المنطق، بل كانت لديه خطة مدبرة ينفذها، فتعقب العمارة

المصرية بأسطوله، ولحق بها تجاه رأس (باباس) شمالي المورة وتهددها بالحرب إذا لم ترجع عن سيرها، فاضطرت أن تعود أدراجها إلى نافارين.

ثم جاء إبراهيم باشا جواب محمد علي بأن عرض الأمر على الباب العالي، وسيرسل إليه تعليماته النهائية إذا ورد الرد، وفي انتظار هذه التعليمات يوصيه بالتزام خطة السلم وتجنب الاصطدام مع الدول أو التحرش بها حتى ولو طلب إليه الباب العالي ذلك.

ذلك أن محمد علي رأى بعين حكمته أن محاربة الحلفاء أمر لا تحمد عاقبته؛ لأنهم أقوى عددًا واستعدادًا، وخاصة لأنهم مالكون ناصية البحار، فالتحرش بهم يعرض الأسطول المصري للدمار.

وقد عمل إبراهيم باشا بهذه الوصية، والتزم في نافارين خطة الدفاع، وكان إبراهيم يقدر أساطيل الحلفاء ومبلغها من القوة، ويعلم أنها وإن كانت أقل عددًا من العمارة المصرية التركية؛ إلا أنها أرقى منها نظامًا، وبوارجها أقوى سلاحًا، ومدافعها أشد فتكًا وأبعد مرمى، وقوادها وضباطها أكثر علمًا وكفاءة، فكان يرى الحكمة في تجنب الاصطدام بأساطيل الحلفاء، ووافق رأيه في هذا الصدد رأي محمد علي.

لكن قواد الحلفاء أنفسهم لم يقنعوا بخطة الدفاع؛ بل بيَّتوا الشر للأسطول المصري والتركي، واتفقوا فيما بينهم على تدميره مهما كان مسلك إبراهيم باشا، ومن هنا وقعت كارثة نافارين، وهذه المؤامرة قد دبرتها السياسة الإنجليزية وأوعزت بها إلى الحلفاء، وغايتها منها أن تقضي على العمارة المصرية التي أنشأها محمد علي، فلا تعود مصر تنافسها السيادة في البحر الأبيض المتوسط. وهكذا كانت إنجلترا ولم تزل تتربص بمصر وتدبر لها المكايد في كل ناحية، وتحول دون أخذها بأسباب القوة والمنعة في البر والبحر.

واقعة نافارين (٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧م)

غادر إبراهيم باشا نافارين في منتصف أكتوبر، وزحف بجزء من جيشه داخل المورة لإنجاد الحامات المصرية، وأوصى الأميرال محرم بك قائد الأسطول المصري والأميرال طاهر باشا قائد الأسطول التركي بألا يتحرشا بالأساطيل الدولية ولا يخرجا إزاءها عن قواعد المودة والمجاملة؛ لأن العلاقات بين الحلفاء وتركيا ومصر لم تكن قطعت ولا أعلنت الحرب بين الفريقين.

وبعد أن بارح نافارين أرسل إليه قواد أساطيل الحلفاء إنذارًا يبلغونه فيه أنه نقض الهدنة، ويلقون عليه تبعة هذا العمل وعواقبه الخطيرة، جاء الرسول إلى نافارين حاملًا هذا الإنذار يوم (١٨ أكتوبر) -أي قبل الواقعة بيومين- فلم يلق إبراهيم باشا، فعاد بالرسالة إلى الأميرال كودرنجتون، ولم تكن هذه الرسالة إلا ذريعة لإنفاذ الخطة التي اتفق عليها الحلفاء، وهي القضاء على أسطول إبراهيم باشا.

فاجتمع قواد الحلفاء في ذلك اليوم وتداولوا في الأمر، فاستقر رأيهم على الدخول بأساطيلهم ميناء نافارين ليكون ذلك -في نظرهم- أدعى إلى إجبار إبراهيم باشا على تنفيذ مطالبهم، وتظاهروا بأنهم يعملون في حدود معاهدة لوندره، وأنهم لا يقصدون إلا المحافظة على السلم، ومنع وقوع الحرب، وهكذا تكذب السياسة في لغتها وأساليبها، فهي تبيِّت الشر والحرب، وتهيئ وسائل الخراب والدمار، وتتظاهر في الوقت نفسه بالمحافظة على الصلح والسلام.

كانت السفن المصرية والتركية مصطفة داخل الميناء على ثلاثة صفوف شبه متوازية، كل صف في شكل نصف دائرة، يمتد طرفاها من نافارين الجديدة الواقعة على يمين البوغاز إلى جزيرة اسفاختريا التي تحجب عن الميناء أمواج البحر، ووقفت البوارج والفرقاطات الكبيرة في الصف الأول، وفي الصف الثاني سفن الكورفيت، ويليها سفن الإبريق وغيرها، وتجد على الخريطة (ص٢١١) موقع السفن.

وكان يحمي مدخل الميناء استحكامات قلعة نافارين وبطاريات من المدافع في طرف جزيرة اسفاختريا، يعاونها أيضًا سفن خفيفة من الحراقات، وهي مراكب تندفع والنار مشتعلة فيها على بوارج الأعداء لتحرقها بنارها، وكان على ظهر بعض السفن المصرية طائفة من الضباط الفرنسيين الذين استخدمهم محمد علي لإصلاح البحرية، فأرسل إليهم الأميرال ريني(١) قومندان الأسطول الفرنسي يدعوهم إلى الانسحاب من الدوننمة المصرية حتى لا يحاربوا إخوانهم ومواطنيهم، فلبوا الدعوة واستأذنوا من الأميرال محرم بك في مغادرة الأسطول، فلم يسعه إلا الإذن لهم بما طلبوا، وتركوا الأسطول المصري يوم (١٨ أكتوبر) في أشد الأوقات حرجًا.

وفي صبيحة (١٩ أكتوبر) جمع الأميرال كودرنجتون قباطين الحلفاء على ظهر بارجته (آسيا) وأصدر إليهم تعليماته فيما يجب عليهم عمله عند بدء القتال.

وأحكم قواد الحلفاء تدابيرهم في الوقت الذي كان الأميرال محرم بك والأميرال طاهر باشا مطمئنين إلى الموقف، موقنين أن ليس ثمة حرب ولا قتال.

وانقضى يوم (١٩ أكتوبر) والحلفاء معتزمون اقتحام البوغاز وتدمير العمارتين المصرية والتركية، وكانوا يزمعون إنفاذ خطتهم ذلك اليوم، ولكن الريح لم تساعد السفن على دخول الميناء (وكانت السفن الحربية إلى ذلك الحين تسير بالشراع لا بالبخار) فارجأوا هجومهم إلى اليوم التالي.

ففي نحو الساعة العاشرة من صبيحة (٢٠ أكتوبر) بدأت سفن الحلفاء تتأهب لدخول الميناء عند أول أشارة تصد إليها، ففي ساعة الظهر أخذت البارجة (آسيا) التي تقل الأميرال كودرنتجون تتجه على سَمْت من الخليج، تحيط بها بقية السفن الإنجليزية، تتبعها العمارتان الفرنسية والروسية.

---

(١) يوم ١٧ أكتوبر سنة (١٨٢٧م).

وفي منتصف الساعة الثانية بعد الظهر أصدر كودرنجتون أمره إلى أساطيل الحلفاء بالتأهب للقتال، وعند تمام الساعة الثانية اقتحمت البوغاز.

فأرسل الأميرال محرم بك قائد الأسطول المصري رسولًا إلى البارجة آسيا يطلب إلى كودرنجتون أن يمنع عمارة الحلفاء من الرسو في نافارين، فأجاب الأميرال الإنجليزي الرسول في لهجة جافة بأنه لم يجئ ليتلقى أمرًا؛ بل جاء ليملي أوامره، وكان هذا الجواب دليلًا على نية الشر والعدوان التي تختلج في نفوس الأميرال الإنجليزي وزملائه، واستمرت البارجة (آسيا) في طريقها يتبعها بقية الأسطول وأخذت سفن الحلفاء مكانها الذي رسم لها من قبل، فاصطفت تقريبًا على شكل نصف دائرة في مواجهة أسطول إبراهيم باشا، واقتربت معظم السفن حتى صارت أمام السفن المصرية والتركية وجهًا لوجه (انظر الخريطة) وصار بعضها على مرمى المسدس منها، فلم يكن ثمة شك في أنها جاءت تتحداها للقتال.

ووقفت البارجة الإنجليزية «دارتموث» على رأس الصف لتعطل عمل الحراقات المصرية الراسية في مدخل الميناء، وطلب قومندانها إلى إحدى هذه الحراقات أن يغادرها بحارتها وجنودها، أو أن تنسحب من موقعها، وكان هذا الطلب ذريعة إلى إشعال نار القتال؛ فإن الرسول الذي حمل هذا الطلب إلى السفينة المصرية ذهب إليها في قارب مسلح متحفزًا متحديًا للقتال، وقد زعم مؤرخو الحلفاء أن رصاصة أطلقت من السفينة المصرية أصابت أحد جنود الحلفاء، وكانت السبب في إضرام نار القتال، وذلك زعم لا يخفي حقيقة الواقع، وهو أن الحلفاء اقتحموا الميناء بسفنهم مضرمين الشر والعدوان، سواء أطلقت تلك الرصاصة أم لم تطلق، فإنهم جاءوا عازمين على تدمير الأسطول المصري التركي وأخذه غيلةً وغدرًا، ولو لم تطلق تلك الرصاصة -إن صح أنها أطلقت- لما عدموا وسيلة أخرى يتذرعون بها إلى إطلاق النار.

obeikan.com

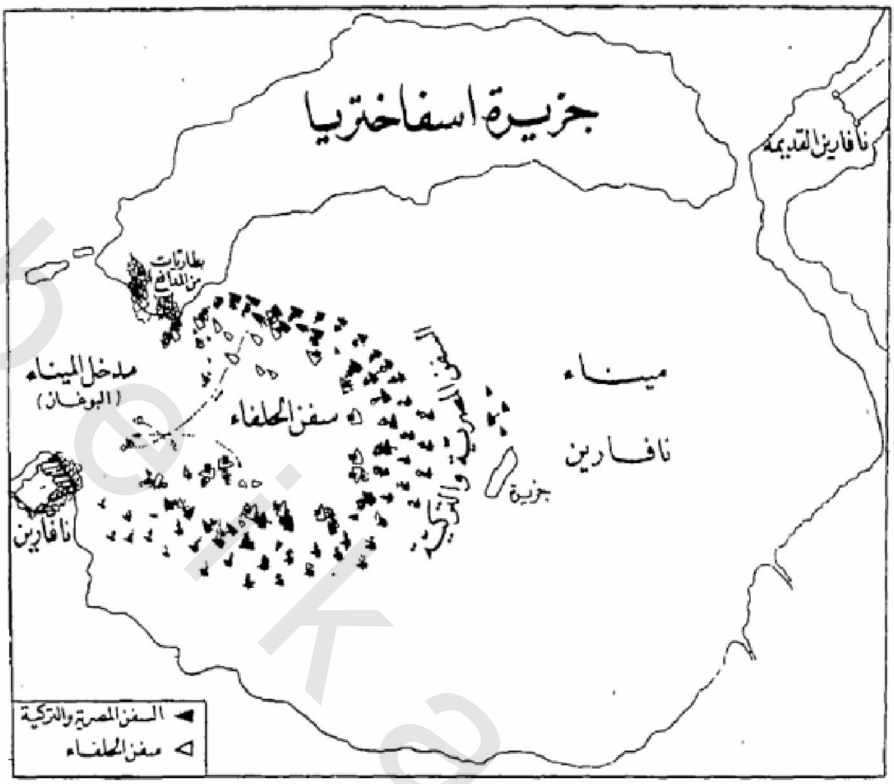

ميناء نافارين والواقعة البحرية
(٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧)

كانت العمارة المصرية التركية عند ابتداء القتال تتألف من (٦٢) سفينة حربية وأساطيل الحلفاء (٢٧) سفينة، فهي أقل منها عددًا، ولكن كفة الحلفاء كانت أرجح؛ لأن لديهم من البوارج الكبرى عشر بوارج، في حين أن المصريين والترك لم يكن لديهم منها سوى ثلاث فقط، ومعلوم أن البوارج هي قوام الأساطيل البحرية؛ لأنها عبارة عن قلاع كبيرة متحركة تحطم السفن الحربية الأخرى، دون أن تتمكن هذه من أن تنالها بسوء، وخاصة قبل اختراع المدمرات الحديثة والغواصات، أضف إلى ذلك أن الحلفاء جاءوا مستعدين للضرب، على حين أن الترك والمصريين لم يكونوا متوقعين حربًا ولا قتالًا، فلم تطلق مدافع القلاع قنابلها على سفن الحلفاء أثناء اجتيازها البوغاز، ودخلت آمنة سالمة، هذا فضلًا عن أن سفن الحلفاء كانت أشد بأسًا وأقوى سلاحًا وأكثر

obeikan.com

استعدادًا وأرقى قيادة من سفن الترك والمصريين، وكانت هذه داخل المرفأ، فحصرتها سفن الحلفاء في مكان ضيق لا يسهل عليها فيه الحركة، ولم تمض برهة على دخول الأساطيل الدولية الميناء حتى ابتدأ القتال، وأطلقت بوارج الحلفاء مدافعها على السفن المصرية والتركية، وتجاوب الأسطولان الضرب، واستعرت نار الحرب والهيجاء، فانقلب المرفأ بركانًا من الجحيم، واجتمعت بين جوانبه أسباب الهلاك والدمار، وصُمَّت الآذان من قصف آلاف المدافع التي كانت تطلق من الجانبين، ومن دويِّ انفجار السفن التي كانت تنسفها قنابل الحلفاء أثناء المعركة، وغشيت ميدان القتال طبقات متصاعدة من الدخان المتكاثف، تتخللها النيران المشتعلة، فكان المشهد رهيبًا مروعًا، ولم تعد السفن يميز بعضها بعضًا إلا على ضوء اللهب الذي كان يتصاعد بين آونة وأخرى من السفن المحترقة، ولم تستطع القيادة العامة متابعة حركات القتال، فأخذت أساطيل الحلفاء تتبارى في الفتك بالسفن المصرية والتركية.

لم تقصر السفن المصرية والتركية في الضرب، وأبدى رجالها بسالة في القيام بواجبهم، ولم يسلموا في أية سفينة من سفنهم، واشتركت مدافع القلاع في القتال قدر ما استطاعت؛ ولكن ضرب الحلفاء كان أشد فتكًا وأقوى أثرًا؛ فدمر معظم السفن المصرية والتركية.

ابتدأت الواقعة في منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر، واستمرت إلى نحو الساعة الخامسة مساء، وانتهت بالقضاء على العمارة المصرية التركية، فقد هلك معظمها نسفًا وغرقًا، وجنحت البقية الباقية على السواحل، فأحرق البحارة أغلبها حتى لا تقع في أيدي الأعداء، وبلغ عدد قتلى المصريين والترك ثلاثة آلاف، في حين لم يخسر الحلفاء سوى (١٤٠) من القتلى و(٣٠٠) من الجرحى.

تعد واقعة نافارين من الوقائع القليلة التي يتمثل فيها الغدر ونقض العهود والمواثيق؛ فإنها وقعت من غير أن تعلن حرب بين تركيا والدول المتحالفة، وأخذ

الحلفاء السفن المصرية والتركية غيلة من غير أن تنذرها أو تستعد للقتال، وكل ذلك منافٍ لأبسط قواعد الحروب المتفق عليها بين الدول المتمدنة.

وقد فقدت مصر في هذه الواقعة أسطولها الذي قضى محمد علي السنين الطوال يبذل الجهود العظيمة وينفق الأموال الجسيمة في إنشائه، فكان معظم الخسارة في هذه المعركة واقعًا على مصر وبحريتها، وهكذا شاءت السياسة الإنجليزية أن تبيت الشر لمصر وأسطولها حتى أوقعت به في كارثة نافارين.

لم يشهد إبراهيم باشا واقعة نافارين؛ إذ كان أثناء وقوعها داخل بلاد (موره) يعمل على إخضاعها، فلما بلغه تدمير العمارة المصرية عاد إلى (نافارين) وشهد بنفسه آثار الواقعة، فحزن لها حزنًا شديدًا، ثم أمر بإعداد بعض السفن التي نجتْ من الكارثة وتعويم بعض التي غرقت وأنفذها إلى الإسكندرية، ثم رأى أن يلزم خطة الدفاع، فأخلى مدن المورة وامتنع بمعظم جنوده في ثغري (كورون) و(مودون) حتى يأتيه أمر أبيه.

اختلاف وجهة نظر تركيا ومصر بعد الواقعة

اختلفت وجهة نظر تركيا ومصر بعد معركة نافارين.

أمَّا تركيا فإنها رغم تدمير أسطولها في المعركة قد أصرت على رفض مطالب الدول المتحالفة، وطالبتها بتعويض عما لحق أسطولها من الدمار، ووقفت موقف الصلابة والعناد بإزاء الحلفاء.

فأعلنت الروسيا الحرب عليها واحتلت (أدرنه) وأرسلت فرنسا إلى بلاد اليونان جيشًا مؤلفًا من (١٨٠٠٠) جندي بقيادة الجنرال (ميزون) لإجلاء المصريين والترك عنها.

وانتهت الحرب الروسية التركية بعقد معاهد أدرنه (١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩م) وفيها وافقت تركيا على قرارات الدول في معاهدة لوندره، فاعترفت باستقلال اليونان

استقلالًا داخليًّا؛ وإلا يكون لها عليها سوى حق السيادة الاسمية، ثم اتفقت الدول على تخويلها الاستقلال التام (٣ فبراير سنة ١٨٣٠م).

أمَّا مصر فقد رأى محمد علي أن لا فائدة تنالها من مواصلة القتال بعد أن فقدتْ أسطولها في واقعة نافارين وانقطعت مواصلاتها البحرية مع جيوشها في بلاد اليونان، فلا سبيل إلى إمدادها، ولأن فرنسا أنفذت إلى المورة جيشًا عهد إليه تحقيق ما اتفقت عليه الدول بقوة السيف، وتعجل جلاء الجيش المصري، فأدرك محمد علي باشا أن ليس من مصلحة مصر مشايعة تركيا في عنادها، وخاصة بعد أن تكبدت خسائر جسيمة في الأرواح والأنفس، واحتملت نفقات فادحة تنوء بها خزانتها، وتحقق أيضًا أن محاولة استرجاع اليونان عبث لا يجدي، فرأى من الحكمة ألا يجعل سياسة مصر مقيدة بسياسة تركيا، وأن يتفق مع الحلفاء على وقف القتال وجلاء الجيش المصري عن الموره.

وقد جنح به إلى سلوك هذه الخطة ما تلقاه من قناصل الدول في مصر عن تصميم الحلفاء على تحرير اليونان، واستهداف مصر لكوارث الحرب إذا هي استمرت على اتباع سياسة تركيا، وفي غضون ذلك جاء الأميرال كودرنجتون قائد العمارة الإنجليزية إلى مياه الإسكندرية وأنذر بتخريب المدينة إذا لم يبادر محمد علي إلى استعدعاء إبراهيم باشا من الموره، وسعى المستر «باركر» قنصل إنجلترا في مصر إلى إقناع محمد علي بالكف عن القتال، فاستمع لهذه النصائح والتهديدات وعقد[1] اتفاقًا مع الحلفاء، على إخلاء الجيش المصري لبلاد المورة على شروط؛ وهي:

أولًا: يتعهد محمد علي بإعادة الأسرى اليونانيين وتحرير مَن بيع منهم في مصر[2].

---

(١) في أغسطس سنة (١٨٢٨م).

(٢) يقول المستر «باركر» قنصل إنجلترا في مصر وقتئذ: إن عدد هؤلاء الأسرى (٥٥٠٠) وزعوا على بيوت الكبراء في الإسكندرية والقاهرة، ولما أبرم هذا الاتفاق لم يقبل منهم العتق سوى أربعمائة، وأمَّا الباقون ففضلوا البقاء في مصر.

ثانيًا: يتعهد الأميرال الإنجليزي بإرجاع الأسرى المصريين وإعادة السفن المصرية التي أُسرت أثناء القتال.

ثالثًا: أن تخلي الجنود المصرية المورة وينقلهم محمد علي باشا على سفنه.

رابعًا: ألا يكره اليونانيون المقيمون بمصر على الرحيل عنها، ولا يجبرون على البقاء فيها، وكذلك يسمح لمن يشاء من اليونانيين أن يصحبوا الجيش المصري في عودته لمصر.

خامسًا: يجوز لإبراهيم باشا أن يترك في (موره) عددًا من العساكر لا يزيد على ألف ومائتين للمحافظة على (مودون) و(كورون) و(نافارين) و(باتراس) و(كستل توريزه)، أمَّا المواقع الأخرى فتخلى فورًا.

وقد أُبلغ إبراهيم باشا هذه الشروط وهو في اليونان؛ فقابلها بالسخط الشديد لما رأى أن جهود جيشه قد ضاعت، فضلًا عن الخسائر التي تكبدها وخاصة ضياع العمارة المصرية؛ ولكنه اضطر للإذعان، فأصدر أوامره بإخلاء المدن اليونانية والسير إلى الثغور، ثم أقلعت بهم السفن إلى مصر (أكتوبر سنة ١٨٢٨م).

وهكذا رجع الجيش المصري من اليونان إلى الإسكندرية بعد أن أنهكته الحروب والأمراض، وتكبدت مصر في هذه الحملة متاعب وضحايا هائلة ونفقات جسيمة، وحسبك أن تعرف أن الجيش الذي جردته في حرب اليونان بلغ اثنين وأربعين ألفًا، خسرت منه ثلاثين ألفًا، وبلغت نفقات الحملة (٧٧٥) ألف جنيه، وفقدت أسطولها الحربي في واقعة نافارين، فكانت خسائرها في الحملة فادحة وتضحياتها بالغة.

نتائج الحرب اليونانية

إن مصر لم تنل من الحرب اليونانية من الوجهة المادية شيئًا سوى ضم جزيرة كريت إليها؛ فقد عهد السلطان محمود إلى محمد علي ولاية تلك الجزيرة مكافأة له على خدماته في حرب الموره، فإذا صح القول بأن مصر لم تكسب من ناحية التوسع والفتح، فمما لا

نزاع فيه أن هذه الحرب قد أكسبتها منزلة معنوية كبيرة؛ لأن هذه أول حرب أوربية خاض الجيش المصري غمارها، ولقد برهن فيها على كفاءته وأثبت أنه يضارع أرقى الجيوش الأوربية في ميادين القتال، فلا غرو أن ارتفع شأن مصر ونال جيشها شهرة عالمية، وهذه المكانة تعد من أركان عظمة مصر الحديثة ومن عوامل مجدها الخالد، والأمم الحية تقدر مجدها الحربي تقديرًا كبيرًا وتبذل في سبيله الجهود والتضحيات.

هذا فضلًا عن أن الجيش المصري قد اكتسب في تلك المواقع مرانًا على الكفاح، وممارسة لفنون الحرب وخططها وأساليبها الحديثة. ولا ريب أن خوض الجنود والضباط والقواد غمار المعارك المتوالية مما يغرس في نفوسهم الفضائل والأخلاق الحربية، ويعظم هممهم ويزيدهم شجاعة وإقدامًا، ويبصرهم بمواقع الحروب ويزيدهم علمًا وتجربة.

ولا يخفى من جهة أخرى أن الحرب اليونانية كانت خير إعلان عن قوة الجيش المصري، وحسن نظامه، وكفاءة قواده، وشجاعة جنوده، ولقد ظهر في تلك الحرب أرفع شأنًا وأشد بأسًا من الجيش التركي، فكان لهذه الميزة أثرها في توطيد دعائم الدولة المصرية الفتية وإعلاء شأنها حيال تركيا، بحيث لم يعد يسهل على السلطان أن ينظر إلى محمد علي كوالٍ من ولاة السلطنة العثمانية؛ بل جعلته الحرب ندًّا له وملكًا مهيب الجانب، قوي البأس والسلطان، فلا غرو أن قويت في نفس محمد علي بعد تلك الحرب فكرة إعلان الاستقلال، تلك الفكرة التي ساورته منذ رسخت قدمه في الحكم وكان يعمل لها بثبات وحكمة وينتهز الفرص ويهيئ الوسائل ويرسم الخطط لتحقيقها، فكانت الحرب اليونانية مرحلة شجعته على تحقيق تلك الفكرة الجليلة.

وكان من نتائج الحرب اليونانية أن أخذت مصر تكسب مركزًا دوليًّا؛ لأن الدول الأوربية قد فاوضت محمد علي رأسًا دون وساطة تركيا، فكسبت بالفعل مركزًا ممتازًا بين الدول، وهكذا كانت الحرب اليونانية وسيلة لظهور شخصية مصر الدولية، وقد كان لحسن نظام الجيش المصري وما أبداه من المهارة والشجاعة والكفاية الفضل الأكبر

في ما نالته مصر من المكانة؛ إذ خاطبت الدول محمد علي لا كما تخاطب واليًا من ولاة السلطنة العثمانية؛ بل مخاطبة الند للند، وأرسلت إليه الحكومة الإنجليزية تبدي شديد أسفها على ما لحق بالأسطول المصري في واقعة نافارين، وتظهر رغبتها في جعل علاقتها بالباشا علاقة ودية، وفاوضته فيما يكون مركزًا إنجلترا حيال مصر إذا نشبت الحرب بين الإنجليز والترك، فتعهدت له بأن يكون موقفها حيال مصر موقف حياد.

فالحرب اليونانية قد جعلت من مصر دولة مستقلة فعلًا عن تركيا. وبذلك نالت مركزًا ممتازًا، وكان من مظاهر هذا المركز أن عقدت الدول اتفاق (أغسطس سنة ١٨٢٨م) رأسًا مع مصر، ووقع هذا الاتفاق «بوغوص بك» وزير خارجية مصر، وهذا أول وثيقة سياسية أبرمها وزير خارجية مصر مع دولة أجنبية في عصر محمد علي.

ويتبين لك مبلغ تصميم محمد علي باشا على إنفاذ فكرة الاستقلال والانفصال عن تركيا من امتناعه عن مد يد المساعدة لها في حربها مع الروسيا، فلقد ألح عليه السلطان في إرسال المدد؛ لكنه أصر على الامتناع، واعتذر ببعد المسافة بطريق البر وعدم توافر السفن التي تنقل الجنود بطريق البحر، واعتذر أيضًا بتفشي الوباء في مصر والشام، وكل هذه أعذار ظاهرة، أما السبب الحقيقي لخطته الجديدة فهو طموحه إلى الانفصال عن تركيا وتحقيق استقلال مصر، ولذلك لم تكد تنتهي الحرب اليونانية وينفض الجيش المصري غبار المعارك التي خاضها حتى بدأت مقدمات الحرب ضد تركيا، إذ أخذ محمد علي يتأهب لمنازلتها في ميادين القتال كي يؤلف الدولة المصرية المستقلة بقوة السيف والمدفع.